الفصل الثامن عشر

احتلال تاپوشان

وفى اليوم الثانى أعنى ٢٧ منه عزمنا على طرد العدو فابتدأت طوبجيتنا اطلاق نيرانها مبكرين مجتهدين فى فتح ممر لبيادتنا وكان اطلاق المدافع اقوى من اليوم السابق ورد العدو أشد منا نسبة أما سبب منعة استحكامات الروسيين فهو ان خنادقهم التى على الخط الموصل بين الارتفاعات كانت خلف الصخور وبها سواتر على الرؤوس وكانوا يطلقون علينا بنادقهم من خروق خفية وكان عندهم مدافع سريعة الطلق ومدافع ماكينة موضوعة فى محلات مختلفة بحيث تطلق نيرانها علينا من جميع النقط والاتجاهات وكانت هذه المدافع الهائلة خلف استحكامات قوية وزيادة على ذلك فان جانب تلنا والجانب المقابل له من تلهم كانا مكونين واديا صخريا وكانت هذه الجوانب رأسية تقريبا حتى انه كان من الصعب أن ننزل من عليها أو نتسلقها بدون مجهودات فوق الطاقة البشرية وعلى ذلك فمهاجمة عدو متسلح قوى مثل هذا فى موقع بفائدة طبيعية مثل هذه يلزم له تضحية عدد كبير منا

وكلما طال اطلاق طوبجيتنا بدون نجاح كان ضرب نار بنادقنا طبعا كذلك بدون منفعة فصممنا أن نتلف مدافع ماكينة العدو بأى كيفية والا كانت نتيجة مساعينا زيادة عدد القتلى والجرحى ولكن اذا كان لا يمكننا استعمال أسلحتنا النارية فالوسيلة هى — اطلاقنا أجسامنا البشرية للهجوم برصاص

أجسادنا لاعتقادنا أن النصر حليف أجسامنا المملوءة بروح (ياماتو داماشى) الثابتة وبعد برهة صدرت الاوامر فقذفت البلوكات الخامس والسابع والعاشر من آلاينا بأنفسهم الى الوادى وهاجموا العدو بعنف فصوب العدو جميع نيران طوبجيته وبيادته على هذه القوة التى كانت مندفعة كالريح السريع بصراخ وضجيج غير مبالين بهذه النار الجهنمية غير ناظرين الى من يقع من ضباط وجنود واطئين القتلى بارجلهم حتى وصل من بقى حيا منهم الى بعد ١٢ مترا تقريبا من العدو ولكن لم يمكنهم التغلب على الطبيعة فالحفر الجبلية كانت كمانع أمامهم وكان نصف اخوانهم راقدين أمواتا على جانب التل خلفهم وما كان يمكنهم عمل أى شىء بل وقفوا أمام العدو ناظرين اليه وفى أثناء زحف قوتنا الهاجمة الى الامام تحت مطر القنابل والرصاص الكثيف كانوا يتحركون كخيالات رمادية محاطين بالدخان وكان بعضهم يرى طائراً مرتفعا فى الهواء بواسطة قنبلة كبيرة ولما التقطت أجسامهم كان بعضهم بدون جروح بالمرة ولكن جلدهم كان جميعه ارجوانيا وكان ذلك من الرمى الى الاعلى والسقوط بعدها بثقل على الارض

وكانت مقاومة العدو عنيفة ونيراننا غير مؤثرة كضرب ناقوس معبد كبير بدبوس ولو استمرينا على ذلك لم ننجح بالمرة فعولنا على الهجوم ثم أصدر القائد الامر الآتى ان سلوك ضباطنا وجنودنا البواسل من ابتداء الحرب يستحق كل اعجاب فعلى لوائنا أن يهاجم العدو على طول جانب (تايبوشان) الشرقى فى الساعة ٥ مساء اليوم وعلى جميع قوة الطوبجية أن تطلق مدافعها وعلى جناحنا الايسر أن يهجم عند ما تسمح له الفرصة لذلك

ومن المحقق أن العدو يهزم بهذا التصميم وعلى آلايكم أن يعمل بكل جهده لاحتلال موقع العدو امامكم »

وفى الساعة ٥ مساء ابتدأت جميع طوبجيتنا ضرب النار فى وقت واحد وساعدتها البيادة باطلاق نيرانها ايضا فصارت السماء والارض فى ظلام غيوم الدخان وكانت محاربة الرصاص الطائر والقنبلات مفرقعة تشق الجبال والوديان وهذا كان يدل على انها الموقعة الفاصلة لشدتها التى كانت تفوق الوصف وكانت بيادتنا تطلق النار وتتقدم ثم تقف وتضرب النار مهرولين وقاذفين بانفسهم للامام لان مقذوفات العدو كانت لا تسمح لهم بالتقدم باستمرار ومع ذلك كان الضباط يشجعون جنودهم بقولهم ـ تقدموا ! تقدموا ! ثم أرسل بلوكان من امداد البيادة والمهندسين الى الخط الاول وصارت اورطة آلاينا الاولى على بعد ٢٠ مترا من العدو ولكن التل الصخرى كان لم يزل امامهم غير موجود عليه أى محل لوضع الارجل تقريبا رغما عن اشتياقنا للتسلق الذى كان من المستحيل عمله وبينما كان مطر رصاص العدو يحش من الجانب صار البلوك الثانى الموجود أمام العدو هدفا لمدافع ماكينه الروسيين التى كنستهم فى بعض دقائق ولقد نفذت رصاصة من سيف ثم طارت وشطرت خد اليوزباشى (ماسمورا) اليمين وكانت نيران طوبجيتنا باطلاقها دانات الشرابنيل تصنع العجايب فى الهواء بدون أن تتلف أى استحكام من استحكامات العدو القوية ولذا التزمنا باطلاق قنابل كروية لثقب اسقف خنادق العدو رغما عن وجود بيادتنا تحت خطر الاصابة بها وكانت الاوامر التى تصدر للطوبجيه على الدوام هى « اطلقوا

قنابل كرويه بسرعة على قدر الامكان » ولكن لم يرجع ولا مراسلة ثانيا على قيد الحياة لانهم كانوا يقتلون قبل وصولهم الى غرضهم وقد أمر ملازم قسم المهندسين بارسال مفرقعات ولكنها لم تصل هذه أيضا فى الزمن المطلوب

وقد مرت الساعة السابعة والثامنة وأتت التاسعة ولم تتحسن حالتنا عن ذى قبل فامرت الاورطة الاولى أن تقف برهة وجرح البكباشى (تاماى) قائد الاورطة الثانية جرحا بليغا وأركان حربه الملازم (كوان) أصيب برصاصة فى رأسه فمات بينما كان يستكشف طريقا للهجوم ووصلت الاورطة الثالثة الى قرب العدو ولكن لم يمكنها أن تزيد على ذلك وكانت موتاها وجرحاها تزداد كل لحظة وكانت حالتنا مثل سمكة صغيرة على أهبة أن يبلعها حوت كبير اذ لم يكن فى استطاعتنا تحسينها بمجهوداتنا وعلى كل حال فقد زادت عزيمتنا عند ما ارانا العدو أنه صعب القياد وكانت جميع الاورط وخصوصا الاولى تكسر الصخور بفؤوس من الصلب لعمل درجات من الحجر للصعود ولكن الشغل كان صعبا بالقرب من العدو اذ أن الفريقين كانا كنمرين مظهرين أنيابهما وكل واحد يهدد الآخر بتقطيعه اربا وكان الروسيون يجتهدون جداً فى تعطيل عملنا لان أقل صوت من الفاس كان يجلب لسانا من النار يكنس المكان الذى حوله وأخيرا فى وسط هذه الصعوبة الكبرى فتح ممر فصرنا جميعا على أهبة التقدم

وكان الليل يتقدم والقمر مطل يتفرج على ساحة الوغى ثم أرسل البكباشى (أوشينو) قائد الاورطة الثانية الرسالة الآتية الى أميرالاينا «ان أورطتنا على أهبة المهاجمة وانى أتعشم بكل اخلاص أن امير الايى المحبوب

المحترم يكون القائد الناجح فى هذا الهجوم حتى أنه فى وقت شروق الشمس يكون علم آلايتا خافقا على استحكامات العدو وانى أقدم احترامى — والى الملتقى »

ثم اننا سمعنا فى الحال نشيد (كيميجايو) الوقور تصدح به البروجية بعيداً فى الجناح اليسار وكان القمر يضىء فى السماء باعثا نوره على وادينا وكأن صدى هذا النغم الوطنى يدخل فى قلوبنا وكأن الموسيقى تخبرنا أن جلالة الميكادو يامرنا بنفسه بالتقدم ففى الحال قامت الضباط والجنود منتصبة للاعلى رامين بانفسهم للامام مرتبطين بشجاعة واحدة وهجموا على المتاريس الصدرية مهللين ، صارخين ومقتحمين امطار النيران متسلقين الصخور والاحجار وكان البكباشى (ماتسمورا) وهو فى مقدمة جماعة من الرجال فى الامام يصيح بصوت مؤثر وعيونه متقدة كالشرار مناديا « اهجموا ! تقدموا ! » وكان النشيد الوطنى يزيدنا حماسا وكانت جميع الجنود المتقدمة الناجحة تصيح (بانزاى) فتهز الارض هزا مشجعين اخوانهم المسرعين للامام وكان استخدام السونكيات ينشر شرارا فى أعلى التل فصارت المحاربة يدا ليد وكانت المعركة هائلة ولكن كان السرور عظيما بهزيمة العدو بعد عدة خيبات وكان القسم بعد الآخر من جنودنا يقتحم داخلا كالامواج فلم يحتمل الروسيون هذا البحر الزاحف فارتاعوا ولكن ما زالوا يقاومونا وكنا كلما ازددنا شجاعة وقوة قلت شجاعتهم وقوتهم بهذه النسبة وأخيراً فى الساعة ٨ صباحا من يوم ٢٨ يوليو عندما أشرقت الشمس القرمزية صرنا حاكمين على ارتفاعات (تايبوشان) وكانت الاعلام الامبراطورية تخفق عالية على

معسكرنا الجديد وصياح (بانزاى) الذى يصدر بكل انشراح كان مرتفعا كموج بحر عظيم

الفصل التاسع عشر

ميدان القتال بعد المعركة

قبل أن نأخذ موقع العدو أخيرا الموجود على طول ارتفاعات (تايبوشان) بذلنا جميعنا جهدنا الى النهاية فى تثبيت عزيمتنا وشجاعتنا فى محاربة عدو فى استحكامات عظمى وانا حاربنا ثمانية وعشرين ساعة بدون أكل ولا شرب أو نوم عدواً عنيداً يائسا ونجاحنا فى هذه الموقعة كان ذا أهمية عظمى لتصميمات حملتنا التالية وخسائر موقعة (نانشان) التى كانت زيادة عن الاربعة آلاف نسمة كانت تعد أشد موقعة لذلك الحين ولكن بمقارنتها مع (تايبوشان) نقول أنها اكتسبت بثمن زهيد اذ كان عند العدو سفح تعتمد أمامه يكنس منه القوات الهاجمة على بعد من موقع منيع أما هيئة الارض على طول (تايبوشان) فكانت مخالفة لها بالمرة اذ كانت التلول رأسية والوديان عميقة فكان يمكننا أن ندافع عن أنفسنا فى زاوية ميتة أو نختفى ونستر أنفسنا بسهولة ومع ذلك فخسائرنا هنا تساوى خسائرنا فى (نانشان) وانى أترك للقارئ على ذلك الحكم على شدة هذه المعركة

ولقد اجتمعنا ثلاثة أيام بقطعة أرض صغيرة وكنا نمضغ البقسماط الناشف الذى سميناه المؤونة الحديدية لعدم وصول مؤونة من خلفنا ولم نجد